جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الندوة الوطنية العلمية: العتبات النصية؛ بين الإبداع التلقي

المحور الثاني: العتبات في التراث العربي القديم.

عنوان المداخلة:

العتبات بين التأسيس النظري والفعل التطبيقي
الرؤوس الثمانية في التراث العربي القديم
Thresholds between theoretical foundation and practical action
The Eight Heads in the Ancient Arab Heritage

د. لبنى خشة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

تعد المقدمة أولى واجهة الكتاب، لذلك كان لها ولا يزال أهمية قصوى ضمن خطاب العتبات، فهي العلامة الأولى التي تستقبل متلقيها، فتستأثر الصدارة وتعمل على الكشف والبوح لقارئها عن تنظيم لما سيورده المؤلف وما سيعتمده في متن كتابه.

وقد أولى التراث العربي القديم أهمية قصوى للمقدمة وخصوصيتها، فجعلها أقساما وأجزاء، يحتفي كل قسم بما سيقدمه المؤلف، ويعكس كل جزء ما يحتويه بما يسمونه الرؤوس الثمانية.

ووفق دراسة تاريخية تحليلية تستقصي مصنفات التراث العربي وكتبه ستقف هذه الورقة البحثية عند ارهاصات العتبات في التراث العربي القديم، لنبحث خصوصيتة هل كان تأسيسا نظريا أو فعلا تطبيقيا؟ وما سبب التسمية؟ وكيف وجه الكتاب هذه الرؤوس ولماذا؟ وما هي أهميتها؟

كلمات مفتاحية:العتبات، التراث القديم، خطاب المقدمات، الرؤوس الثمانية.

Abstract:

The introduction is the first frontispiece of the book, so it had and still has the utmost importance within the discourse of thresholds. It is the first sign that welcomes its recipient, so it takes the lead and works to reveal and disclose to its reader the organization of what the author will include and what he will adopt in the text of his book.

The ancient Arab heritage gave utmost importance to the introduction and its specificity, and divided it into sections and parts, each section celebrating what the author will present, and each part reflecting what it contains, what they call the eight heads.

According to a historical analytical study that investigates the works and books of the Arab heritage, this research paper will stop at the beginnings of the thresholds in the ancient Arab heritage, to examine its specificity. Was it a theoretical foundation or an applied act ?What is the reason for the name ?How did the writers address these heads and why ?What is their importance?

Keywords: thresholds, ancient heritage, introductory speech, eight heads.

استهلال:

تكشف الدراسات الحديثة أن الدرس الغربي قد حمل السبق إلى طرح مصطلح العتبات وعقلنة موضوعها، وتنظيمه نظريا وتطبيقيا، مؤرخة للمصطلح بما قدمه الناقد الفرنسي (جيرار جنيت) (Gérard genette) (1930-2018) في كتابه (**عتبات**) (**Seuils**).

لكن كل هذا لا يمنع من وجود التفاتات عربيّة دقيقة في الموضوع، «فإذا تأملنا طبيعة التأليف العربي قديما نجد أنّ أول ما وصلنا منه كان عبارة عن مرويات شفويّة ينقلها طلبة العلم عن شيوخهم وعلمائهم، وهذه المرويات كثيرا ما أخذت طابع الحوار الذي يعتمد السؤال والجواب أو طابع الصراع بين نمطين ثقافيين هما: **طابع المشافهة** الذي انتهى برجحان كفة **الكتابة**، كما في رسالة الفحولة للأصمعي، أو كما في رسالة بشر بن المعتمر، التي ما فتئت أن كشفت وجها آخر من وجوه رجحان كفة المكتوب عن المروي، ومهما كانت طبيعة هذه التصانيف فإنّها صارت فيما بعد تحترم بشكل مشروط أو تلقائي ما اجتمع عليه رأيّ العلماء في أمر التأليف، لأنّ من صنّفَ فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف»[1].

لذلك نجد حصرا دقيقا عند العلماء في تصانيفهم، ووعيا منهم بجسامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم، فهم فاتحة عهد جديد في تصانيف العلوم العربيّة، ولا سبيل لهم عن **مخالفة ما عُرف بالرؤوس الثمانية في التأليف التي أوردها المقريزي**، في كتابه المواعظ إذ قال: «**أعلم أنّ عادة القدماء من المعلمين قد جرت، أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب**»[2]، فالناظر لهذا القول يفهم جليا أن صاحبه يتحدث عن المقدمة التي «هي ما يأتي في أوّل الكتاب أو البحث»[3]، أي قبل افتتاح الكتب، فما هي الرؤوس الثمانية في المقدمة أو التصدير؟ وهل تعدّ تأسيسا نظريا أو فعلا تطبيقيا لنظرية العتبات؟ لماذا كانت من ضرورات التأليف في التراث العربي القديم؟

ووفق دراسة تاريخية تحليلية تستقصي مصنفات التراث العربي وكتبه ستقف هذه الورقة البحثية عند ارهاصات العتبات في التراث العربي القديم، لنبحث خصوصيتها وما سبب تسميتها؟ وكيف وجّه الكُتَّاب هذه الرؤوس ولماذا؟ وما هي أهميتها؟

---

[1] عبد الرزاق بلال: مدخل الى عتبات النصّ، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000، ص2

[2] المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 1997، ص08

[3] إميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصّل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، المجلّد الثاني، ص1187.

1-مقدمة الكتاب؛ بين المفهوم والحجم والفضاء والمرادفات:

المقدمة «هي ما يأتي في **أوّل الكتاب أو البحث**»[1]، وقد أولى الكتاب العرب مؤلفين أو نقادا أو شُرّاح لها أهمية كبرى، فما هي المقدمة؟ وما هي مرادفاتها؟ واختلافاتها؟ ووفق أي مبدأ يتم تصنيفها؟

وجاء في **لسان العرب** أنّ «**المقدمة هي الأوّل من كلّ شيء**، فهي البدء، والمقدمة تدلّ أيضا على معان عدة مثل **التقدّم والاستقبال** (...) وقد استعير لكلّ شيء فقيل: مقدّمة الكتاب ومقدّمة الكلام، ومقدّمة الإبل والخيل (...) أوّل ما ينتج منها ويلقح، وقيل: **مقدمة كلّ شيء أوّله**، ومقدّم كلّ شيء نقيض مؤخّره، ويقال: ضرب مقدّم وجهه (...). **والمقدّمة ما استقبلك من الجبهة والجبين**»[2]، فالمقدمة البداية في كلّ شيء.

اتفقت الآراء وتعاضدت فيما يخص مفهوم المقدمة على أنها بداية كل شيء، بداية الكتاب أو البحث وأوله، لكن في ذات الوقت تضاربت الآراء واختلفت في تصنيف حجم وفضاء المقدمة وتحديد مرادفاتها أو ما يختلف عنها.

وتشير بعض المعاجم إلى أنّ كل من **المقدمة**(Introduction)، **والتوطئة** (Avis) **والتصدير** (préface) **والتمهيد** (Initialisation) **مصطلحات مرادفات وتنويعات لفظيّة لأصل واحد، وتعكس مفهوما موحّدا**، ولعل الدارس أو الباحث يجد اضطرابا في انتقاء المفهوم الأنسب نظرا لما يحصل في المعاجم من خلط مفهومي، مردّه حصول تعثّر في تمييز مصطلح المقدمة من سائر المصطلحات التي لها صلة بعتبات النص.

وفي **المعجم المفصّل في الأدب** يكتفي صاحبه **بتحديد فضائي** للمقدمة: «توضع في **مطلع الكتاب**، وقبل البحث مباشرة، ولكنّها في العادة تكتب بعد أن يتمّ تأليف الكتاب، وقبل تسويده أو تبييضه لأنّها **خلاصة العمل وصورة كاملة للمخطّط**»[3]

وفي **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب** يعلن المؤلفان عنْ **وجود فوارق وحدود تفصل مصطلح المقدمة عن بقيّة المصطلحات**. ذلك أنّه في «المألوف أن تكون المقدمة **في طول فصل تقريبا**، تمييزا من التمهيد السابق عليها »[4]، وهو ما يدلّ على أنّ **المقدّمة أطول من التصدير ولاحقة للتمهيد** السابق عليها.

---

[1] إميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصّل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، المجلّد الثاني، ص1187.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل بيروت، لبنان، 1988، المجلّد الثالث، ص36.

[3] محمّد التونجي: المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص818

[4] مجدي وهبه وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص380

ولا يكتفي المؤلفان **بتحديد حجم المقدمة وطولها** مقارنة بالتصدير والتمهيد، بل يزيدان في طول المقدّمة في سياق آخر. إذْ وجدْنا في موضع لاحق من المعجم نفسه، الشرط التالي: «ولا يتعدّى **التصدير** (...) **الصفحتين أو الثلاث، في حين أنّ المقدمة قد تصل إلى طول فصلين** من فصول الكتاب »[1]، وإذا ما نظرنا في عديد المعاجم نجد غياب الحسم المنهجي، والضبط العلمي الصّارم في تحديد الحيّز الكمّي للمقدم.

ويقرّ محمد التونجي في **المعجم المفصل في اللّغة والأدب**، حصول ضرب من التماهي بين مصطلح المقدمة وسائر المصطلحات التي تجري مجراها، فيقع هذا المعجم في خلط مفهومي، إذْ لم يوفّقْ في إدراك الحدود التي تفصل مصطلح المقدمة عن غيره من المصطلحات الأخرى. فيعرّف هذا المعجم، **التصدير** (foreword/ préface) كما يلي: «**بداية كلّ شيء**. وهي في الأدب **مطلع المقال أو الخطبة، والكلمة الأولى التّي يقدّم بها المؤلف كتابه**، ولا تزيد على بضع صفحات، عادة **يبيّن للقرّاء فيها دوافعه إلى تأليف الكتاب، والعوائق التي اعترضته وذلّلها، والأشخاص أو المؤسّسات الذين أسهموا في مساعدته** [...] وهي **ترادف كلمة "مقدّمة" أوْ فاتحة القول أوْ التمهيد**»[2]

أمّا **التوطئة** فيعرّفها هذا المعجم بالقول التالي: «**التوطئة هي ما يكتبه المؤلّف في مقدّمة بحثه تمهيدا للدخول في البحث يسلّط فيها الأضواء على ما يكتبه**، ويعدّ القارئ نفسيّا لاستقبال ما هو مكتوب»[3]، فنجدها في هذا المعجم مندرجة في إطار ما **يكتب في فضاء المقدمة**، وترادف **التمهيد لموضوع ما**.

ويرى عبد الرزّاق بلال، أنّ: «مصطلحات "التمهيد" و"المدخل" و"التصدير" غالبا ما ترد متلازمة ولا تكاد في معناها العام تخرج عن مفهوم "المقدّمة"»[4]، هو في رأيه هذا ينفي كل الفوارق

وقد أفْضى بنا إمْعان النظر في المعاجم، إلى القول **بأنّ مفهوم المقدّمة في المعاجم والقواميس الحديثة، رجراج غير ثابت، خاضع للإحالة على المستوى الكمّي والفضائي، تعريف** يفضي بنا إلى ضرب من الخلط المصطلحي.

---

[1] مجدي وهبه وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، المرجع نفسه، ص104

[2] محمّد التونجي: المعجم المفصّل في اللغة والأدب، ج1، ص255

[3] المرجع نفسه، ج1، ص294

[4] عبد الرزّاق بلال: مدخل إلى عتبات النصّ: دراسة في مقدّمات النقد العربي القديم، المرجع نفسه، ص36.

لكن إذا ما جئنا للنقد الغربي نجد أنّ «(جيرار جنيت) يؤكد في كتابه "العتبات" وجود فوارق تفصل بين العتبات النصيّة المصاحبة لنصوص المتن بعضها عن بعض، ومن الاستهلالات الأكثر تواترا نجد: المقدمة (introduction)، والتمهيد (Avant-propos)*، والديباجة (prologue)، والتوطئة (Avis)*، و الاستهلال أو التصدير* (préface) والتقديم (présentation)، والمطلع (prélude)، والخطاب البدئي (Discours préliminaire)، والفاتحة (Préambule)، وخطبة الكتاب (Exorde)»[1].

ويستند (جنيت) في كلامه إلى حديث (جاك دريدا) عن العتبات النصيّة عند (هيجل)، فيؤكّد في كتابه "التشتيت Dissémination " **ضرورة التفريق بين المقدمة والاستهلال** لأنّه ليس لهما **لا نفس الوظيفة ولا نفس القيمة** حسب المنظور (الهيجلي)، على الرغم ممّا يشكّلانه من تناظر في علاقتهما بطرح المدوّنة الفلسفيّة. «فللمقدمة **رابط أشدّ نظاميّة وأقلّ تاريخيّة وظرفيّة بالنسبة إلى منطق الكتاب، إنّها فريدة وتعْنى بقضايا عامة وأساسيّة، والمقدمة تقدّم المفهوم العام في تنوّعها واختلافاته الذاتيّة**، وفي المقابل **تتضاعف الاستهلالات من طبعة إلى طبعة أخرى**، مع أخذ النظر بتاريخيّتها الأشد تجريبيّة، **معبّرة عن استجابة للضرورة الظرفيّة** التي حدّدها هيجل سلفا»[2]

ونجد التراث الأدبي والنقدي العربي القديم، قد فرّق بين هذه المصطلحات فالمقدمة غير التمهيد، والتوطئة غير التصدير والتقديم، وخطبة الكتاب غير الفاتحة أو خطاب البدء، فكيف تعامل التراث العربي الأدبي والنقدي مع المقدمات؟ ما هي طريقة بنائها ومكوناتها؟

---

* **التمهيد:** هو ما يلي المقدمة، ويكون الغاية منه الدخول إلى البحث كالانتقال من الكل إلى الجزء أو ترجمة العالم الذي يراد البحث في آرائه أو ذكر الخلفيات الزمانية والمكانية للبحث ونحو ذلك فهو لا يشتمل على مباحث هي من صلب البحث، وقد يكتفي بعضهم بالمقدمة عن التمهيد أو العكس **ويأتي التمهيد بعد المقدمة** ويهدف الى تهيئة للدخول إلى موضوع. يحتوي التمهيد على **موضوعات أكثر تعمقا وأهمية**، يصل التمهيد في بعض الدراسات إلى أكثر من 20 صفحة يحتوي التمهيد على الهوامش وسرد تفاصيل أكثر.

* **التوطئة:** هي التمهيد للشيء والتهيئة له، وهي تمهيد لفظي في الكلام لذكر الأمر المهم وتهيئة مناسبة الاتيان به.

* **التصدير:** كلمة يكتبها مؤلف للمؤلّف في أوّل كتابه **يعبّر فيها عن ملاحظات شخصيّة** موجّهة إلى قارئ الكتاب وتنتهي عادة **بفقرة فيها الشكر للأشخاص والهيئات التي ساعدت المؤلف في بحثه**، ومثله **التقديم فالتصدير والتقديم غالبا يكونان من غير المؤلف سواء كان المؤلف باحثا أو كان الكتاب تحقيقا فيكون التقديم أو التصدير من قبل أحد العلماء أو المحقق**.

[1] عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص-ص107-123.

[2] لمياء زغدود: خطاب المقدمات في النقد العربي القديم، بحث في العتبات من خلال كتب الطبقات، مركز نقد وتنوير الدراسات الإنسانية، جامعة منوبة، تونس، 12 مارس 2024، ص 24

2-المقدمة: عتبة البداية في التراث العربي القديم:

منذ أن رُجّحت كفة الكتابة على المشافهة، والمصنفات والكتب تُخطُّ في التراث العربي وتخطو بخطى ثابتة، فجاءت المقدمات بيانا فيما بثّه الكُتّاب العرب في ثنايا كتبهم، كالجاحظ وابن قتيبة، والصولي، وعلي بن خلف وغيرهم...

وفي كتابه المواعظ **المقريزي**، يوضح بعض الإجراءات الافتتاحية في الكتب والمصنفات العربية يقول: «**أعلم أنّ عادة القدماء من المعلمين قد جرت، أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب، وهي الغرض، والعنوان، والمنفعة، والمرتبة، وصحة الكتاب، ومن أيّ صناعة هو، وكم فيه من أجزاء، وأيّ أنحاء التعاليم المستعملة فيه**»[1].

الشكل 1-الرؤوس الثمانية عند المقريزي

وقد كتب القدماء قبل بدء الكتاب تفصيلا عن «هويته بشكل مجمل من خلال مقدمة تمهيدية تشتمل على بيان عدة أمور كانت تعرف عند المتقدمين بـ (الرؤوس الثمانية للعلم)، يتعرض من خلالها لبيان تعريف العلم، وواضعه، وموضوعه، ومبادئه، ومسائله، والغاية منه، ومرتبته بين العلوم، وأبوابه، ولا يخفى ما لهذا الأمر من أهمية كبيرة، تكمن في إعطاء الطالب تصورا إجماليا عن العلم الذي هو بصدد دراسته مما يسهّل له بشكل أو بآخر مهمة استعراض هذا العلم والوقوف على مجالاته وفائدته، ليتسنى له معرفة العلم، وحقله المعرفي بين العلوم وكيفية التعاطي معه وبأي أداة يحاكمه فيدرك مدى حاجته له، وما هي الفائدة المتوخاة من دراسته؛ مما يزيد في رغبة طلبه وخوض غمار تحقيق ودراسة مسائله، وتحمل الصعوبات في هذا الطريق، كما أنها تمكن

[1] المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 1997، ص08

الطالب من أن يحدد هل أنه في مستوى دراسة هذا العلم، أم لا بد أن يطوي جملة مقدمات أو علوم ليكون مؤهلاً لدراسته»[1]

واتفق القدماء في حديثهم عن **فواتح الكتاب** على ما اسموه **الرؤوس الثمانية**، فذكرها القنوجي، أيضا في كتاب أبجد العلوم، في الفصل السابع ما جاء في بيان الرؤوس الثمانية قال: «قالوا: الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في **صدره** لأشياء قبل الشروع في المقصود يسميها قدماء الحكماء: الرؤوس الثمانية، **أحدها: الغرض** من تدوين العلم أو تحصيله أي: **الفائدة المترتبة عليه** لئلا يكون تحصيله عبثا في نظره، **وثانيها: المنفعة** وهي ما يتشوقه الكل طبعا، وهي **الفائدة المعتدة بها** ليتحمل المشقة في تحصيله ولا يعرض له فتور في طلبه فيكون عبثا عرفا. هكذا في تكلمة الحاشية الجلالية» [2]

وفي شرح **التهذيب** وشرح **إشراق الحكمة**: «إن المراد **بالغرض** هو **العلة الغائية** فإن ما يترتب على فعل يسمى **فائدة ومنفعة وغاية** فإن كان باعثا للفاعل على صدور ذلك الفعل منه يسمى غرضا وعلة غائية وذكرا لمنفعة، إنما يجب إن وجدت لهذا العلم منفعة ومصلحة سوى الغرض الباعث وإلا فلا، وبالجملة **فالمنفعة قد تكون بعينها الغرض الباعث**»[3].

ويكمل القنوجي بيان الرؤوس الثمانية يقول: «**وثالثها :السمة** وهي: **عنوان الكتاب** ليكون عند الناظر إجمال ما يفصله الغرض»[4]، كذا في شرح **إشراق الحكمة** وفي تكملة **الحاشية الجلالية**: «**السمة** هي عنوان العلم وكأن **المراد منه تعريف العلم برسمه أو بيان خاصة من خواصه ليحصل للطالب علم إجمالي بمسائله ويكون له بصيرة في طلبه**، وفي شرح التهذيب: **السمة العلامة**، وكأن المقصود الإشارة إلى وجه تسمية العلم وفي ذكر وجه التسمية إشارة إجمالية إلى ما يفصل العلم من المقاصد »[5]

ورابعها :المؤلف وهو: **مصنف الكتاب ليركن قلب المتعلم إليه في قبول كلامه والاعتماد عليه** لاختلاف ذلك باختلاف المصنفين، **وأما المحققون** فيعرّفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال ولنعم ما قيل: **لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال**، ومن **شرط المصنفين** أن يحترزوا عن الزيادة

---

[1] فلاح العابدي، سعيد البخاتي: مناهج التفكير، سلسلة إصدارات أكاديمية الحكمة العقلية 3، بغداد، العراق، العدد 1000، ط1، 2015، ص-ص 7-8

[2] القِنَّوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ت 1307هـ): أبجد العلوم، دار ابن حزم، الطبعة 1، 1423 هـ-2002 م، ص58

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4] المرجع نفسه، ص59

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

على ما يجب، والنقصان عما يجب، وعن استعمال الألفاظ الغريبة المشتركة، وعن رداءة الوضع؛ وهي تقديم ما يجب تأخيره وتأخير ما يجب تقديمه .

وخامسها :أنه من أي علم هو؟ أي من اليقينيات أو الظنيات من النظريات أو العمليات من الشرعيات أو غيرها ليطلب المتعلم ما تليق به من المسائل المطلوبة .

وسادسها :أنه أية مرتبة هو؟ أي بيان مرتبته فيما بين العلوم إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه أو باعتبار توقفه على علم آخر أو عدم توقفه عليه أو باعتبار الأهمية أو الشرف ليقدم تحصيله على ما يجب أو يستحسن تقديمه عليه ويؤخر تحصيله عما يجب أو يستحسن تأخيره.

وسابعها :القسمة وهي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم في كل باب منها ما يتعلق به ولا يضيع وقته في تحصيل مطالب لا تتعلق به كما يقال: أبواب المنطق تسعة كذا وكذا. وهذا قسمة العلم وقسمة الكتاب كما يقال: كتابنا هذا مرتب على مقدمة بابين وخاتمة. وهذا الثاني كثير شائع لا يخلو عنه كتاب

وثامنها: الأنحاء التعليمية وهي: أنحاء مستحسنة في طرق التعليم؛ **أحدها :التقسيم*** **وهو: التكثير من فوق إلى أسفل** أي: من أعم إلى ما هو أخص كتقسيم الجنس إلى الأنواع والنوع إلى الأصناف والصنف إلى الأشخاص **وثانيها: التحليل** وهو: عكسه أي التكثير من أسفل إلى فوق، أي من أخص إلى ما هو أعم، كتحليل زيد إلى الإنسان والحيوان وتحليل الإنسان إلى الحيوان والجسم. هكذا في تكملة الحاشية الجلالية وشرح إشراق الحكمة.

الشكل 2-الرؤوس الثمانية عند التنوخي

* وفي شرح التهذيب كان المراد من **التقسيم ما يسمى بتركيب القياس** وذلك بأن يقال: **إذا أردت تحصيل مطلب من المطالب التصديقية** فضع: **طرفي المطلوب، واطلب جميع موضوعات** كل واحد منهما، **وجميع محمولات** كل واحد منهما، سواء كان **حمل الطرفين عليها أو حملها على الطرفين بواسطة أو بغير واسطة**. وكذلك **اطلب جميع ما سلب عنه الطرفان أو سلب هو عن الطرفين**، ثم انظر إلى **نسبة الطرفين إلى الموضوعات والمحمولات**، فإن **وجدت من محمولات موضوع المطلوب ما هو موضوع المحمول فقد حصل المطلوب من الشكل الأول**، أو ما هو **محمول على محموله فمن الشكل الثاني**، أو من **موضوعات موضوعه ما هو موضوع لمحموله فمن الشكل الثالث**، أو **محمول لمحموله فمن الرابع**، كل ذلك بحسب تعدد اعتبار الشرائط بحسب الكيفية والكمية والجهة. كذا في شرح المطالع .

فمعنى قولهم: وهو التكثير من فوق أي: **من النتيجة**، لأنها المقصود الأقصى بالنسبة إلى الدليل، وأما **التحليل** فقد قيل في شرح المطالع كثيرا ما تورد في العلوم قياسات منتجة للمطالب لا على الهيئات المنطقية اعتمادا على الفطن العارف بالقواعد، فإن أردت أن تعرف أنه على أي شكل من الأشكال فعليك ب**التحليل**، وهو **عكس التركيب**.

وثالثها :التحديد أي فعل الحد أي إيراد حد الشيء وهو ما يدل على الشيء دلالة مفصلة بما به قوامه بخلاف الرسم فإنه يدل عليه دلالة مجملة كذا في شرح إشراق الحكمة وفي شرح التهذيب كان المراد **بالحد المعرف مطلقا** وذلك بأن يقال: **إذا أردت تعريف شيء فلا بد أن تضع ذلك الشيء وتطلب جميع ما هو أعم منه وتحمل عليه بواسطة أو بغيرها** وتميز الذاتيات عن العرضيات بأن تعد ما هو بين الثبوت أو ما يلزم من مجرد ارتفاعه ارتفاع نفس الماهية ذاتيا وما ليس كذلك عرضيا. وتطلب جميع ما هو مساو له فيتميز عندك الجنس من العرض العام والفصل من الخاصة. ثم تركب أي قسم شئت من أقسام المعرف بعد اعتبار الشرائط المذكورة في باب المعرف .

ورابعها :البرهان أي الطريق إلى الوقوف على الحق أي اليقين إن كان المطلوب نظريا وإلى الوقوف عليه والعمل به إن كان عمليا كأن يقال: **إذا أردت الوصول إلى اليقين فلا بد أن تستعمل في الدليل بعد محافظة شرائط صحة الصورة.**

أما **الضروريات الست** أو ما يحصل منها **بصورة صحيحة وهيئة منتجة وتبالغ في التفحص** عن ذلك حتى لا يشتبه بالمشهورات والمسلمات والمشبهات وغيرها بعضها ببعض، وعدُّ **الأنحاء التعليمية بالمقاصد** أشبه فينبغي أن تذكر في المقاصد، ولذ ترى المتأخرين كصاحب المطالع يعدون ما سوى التحديد من مباحث الحجة ولو أحق القياس. وأما **التحديد فشأنه أن يذكر في مباحث المعرف**. كذا في شرح التهذيب .

واعلم أنهم **إنما اقتصروا على هذه الثمانية لعدم وجدانهم شيئا آخر يعين في تحصيل الفن ومن وجد لك فليضمه إليها**. وهذا أمر استحساني لا يلزم من تركه فساد على مالا يخفى هكذا في تكملة الحاشية الجلالية .

ويذكر التنوخي في ابجد العلوم كما من مرادفات الرؤوس الثمانية يقول: «واعلم أنهم قد يذكرون **وجه الحاجة إلى العلم** ولا شك أنه ههنا بعينه **بيان الغرض منه**. وقد يذكرون **وجه شرف العلم** ويقولون: **شرف الصناعة**، إما **بشرف موضوعها** مثل **الصياغة** فإنها أشرف من الدباغة، فإن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة، التي هي الجلد. وإما **بشرف غرضها** مثل **صناعة الطب** فإنها أشرف من صناعة الكناسة، لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح، وإما **بشدة الحاجة** إليها **كالفقه** فإن الحاجة إليه أشد

من الحاجة إلى الطب إذ ما من واقعة في الكون إلا وهي مفتقرة إلى **الفقه** إذ به **انتظام صلاح الدنيا والدين**، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات، والمراد بذلك **بيان مرتبة العلم** على ما يفهم مما سبق ويؤيده ما قال السيد السند في شرح المواقف وأما **مرتبة علم الكلام** أي **شرفه** فقد عرفت أن **موضوعه أعم الأمور وأعلاها** ... الخ»[1]

الشكل 3-مرادفات بعض الرؤوس الثمانية

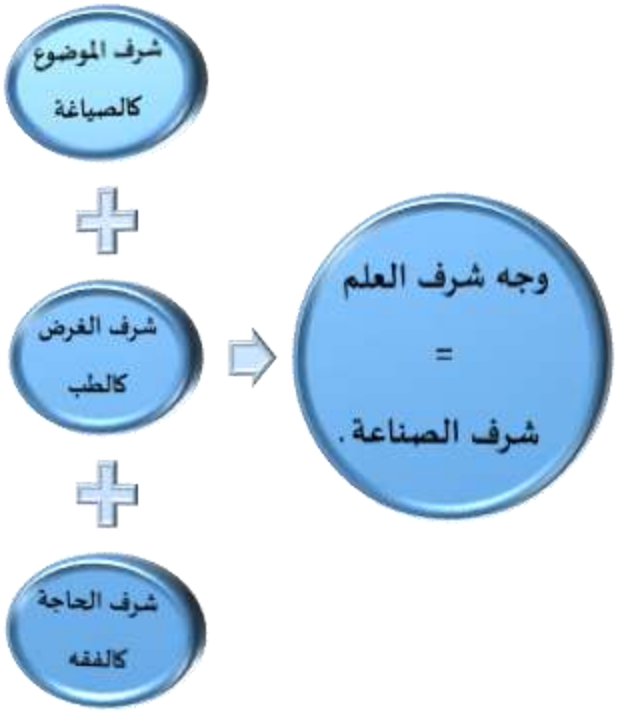

الشكل 4-مرادفات بعض الرؤوس الثمانية وبيانها

[1] التنوخي: ابجد العلوم، المرجع نفسه، ص 60

3-عتبة المقدمة عند النقاد العرب بين التأسيس والتطبيق:

المقدمات بما هي «**صنف من النصوص المصاحبة لنصوص المتن**، يستحيل نصوصا مسيّجة للإبداع، تخنق الشاعر المحدث، بجملة من المقرّرات والقوانين عليه أن يلتزم بها، فيحتذي حذو المدوّنة الشعريّة الأمّ، ولا يخرج عليها لذلك **تستحيل المقدمة في النقد العربي القديم ضربا من البيان الصّارم يختزن رؤية المؤلف ومواقفه**»[1]، ولعل الباحث، يراوده التساؤل عن خصوصية المقدمات النقدية في كتب التراث العربي، وكيف بناها أصحابها؟ وكيف أسسوا تفاصيلها؟ وسندرج بعض الأمثلة عن مقدمات الكتب العربية القديمة.

تعدّ المقدمة النقديّة لكتاب "**طبقات فحول الشعراء**"، من أقدم الكتب النقديّة التي وصلتنا من القرن الثالث للهجرة، تأتي تأسيس مقدمة ابن سلاّم **بمثابة الإعلان الصريح، إذ يقرّ فيها صاحبها، بأسلوب مباشر، ويعلن بوضوح** «عن ظهور ضرب من القراء المختصّين القادرين على عقلنة انفعالهم الحسّي بالشعر (...) فقد جعل النقاد قرّاء ممتازين يرجع إليهم، وارتقى بهم إلى مصاف "السلطة المعرفيّة" (...) إنّ الأهمّ من ذلك كلّه، هو أنّ فكرة "العَالِم بالشعر" أضحت مبدأ قارّا في النقد العربي بعد الجمحي»[2]

ارتأى ابن سلاّم الجمحي، أن يعتمد في طبقاته، على **تصنيف انتقائي** قائم على اختيار شعراء معروفين، بل هو تصنيف يدور في فلك مقياس الشهرة. ولا أدلّ على ذلك من هذه الجمل الأولى اللاّفتة في صدر المقدّمة: «ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيّامها»[3]، وهذه الجزئية من هذا القول هي **تقسيم التكثير من فوق إلى أسفل** أي: من أعم إلى ما هو أخص.

لكن «تتخلّل كتاب "طبقات فحول الشعراء" جملة من الإشارات، **تفصح عن عدم التزام صاحبه في كثير من الأحيان، بما صرّح به في مقدّمته النظريّة**، وهنا تكمن المخاتلة، **فعتبة المقدمة تخفي مقاصد المؤلف الحقيقيّة**، ذلك أنّ ما يعلنه ابن سلاّم في البداية: **"أنّه لابدّ من مبتدأ"** هو ظاهر يخفي باطنا»[4]، فـ«المقدّمة شأن العنوان **تقوم بإستراتيجيّة البوح والاعتراف والوشاية**»[5]،

---

[1] لمياء زغدود: خطاب المقدمات في النقد العربي القديم، بحث في العتبات من خلال كتب الطبقات، مركز نقد وتنوير الدراسات الإنسانية، جامعة منوبة، تونس، 12 مارس 2024، ص32

[2] المرجع نفسه، ص24

[3] المرجع نفسه، ص25

[4] المرجع نفسه، ص 29

[5] عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، المرجع نفسه، ص41.

وفي بعض الأحيان تقوم **المقدمة** على **المخاتلة**، فلا يفتح المؤلف الكتاب على مصراعه في المقدمة، ولا ينقصها حقها، ويُبقي للنص سلطة التوسع.

ومن ذلك أيضا ما قدمه ابن قتيبة، في كتابه و«الناظر في "الشعر والشعراء"، **يلفت انتباهه التزام ابن قتيبة بما أعلنه في مقدّمته، ويتراءى لنا ذلك خاصّة في بعض المواضع**، حيث يصدّر الأبيات الشعريّة، بعبارات من قبيل: "وممّا يستجاد له"، و "ممّا يختار له"، و"يستحسن قوله ..." و "من جيّد شعره قوله"، وكذلك حين يأخذ على عاتقه أن يبين أغاليط الشعراء، وما يأخذه عليهم العلماء. فيقول: "ومن إفراطه قوله".....، و "من خبيث الهجاء قوله..."، و "ممّا أخذ عليه قوله..."»[1]

في حين أن «الناظر في كتاب "الشعر والشعراء"، **يلفت انتباهه عدم التزام ابن قتيبة بما أعلنه في مقدمته النظرية، من أنه لن يعنى بالمقياس الكمّي، إلاّ أنه على المستوى الإجرائي أخّر بعض** الشعراء الجاهليين نزّلهم في طبقات الشعراء المحدثين، ويمكن أن نردّ هذا الصنيع إلى قلّة أشعارهم»[2]

ومن رؤية أخرى تعدّ المقدمة «عبارة عن **تعاقد ضمني أو صريح بين الكاتب والمتلقي**»[3]، لذلك كان اعتبار غايات المقدمات - **مداخل وعتبات نصيّة-البرهنة لقارئها على مقدرتها على الكشف عنْ دلالات النص، وعنْ مقاصد المؤلف الدلاليّة**، وعنْ **منهجه في الدراسة وأدواته الإجرائيّة**، فمنْ لا يفهم غايات المؤلّف ومقاصده يبقى عالقا، يقف خارج حيّز النص، « ومن لا ينتبه إلى طبيعة ونوعيّة العتبات، يتعثّر بها، ومن لا يحسن التمييز بينها من حيث أنواعها وطبائعها ووظائفها، يخطئ أبواب النص، فيبقى خارجه أوْ حتى عندما يدخل إليه يبقى خارج فضاء النص»[4]

والمتصفح للتراث العربيّ القديم، يجد أنه لا يخلو من اهتمام بعتبات النصّ [الفواتح(المقدمات)، الخواتم(النهايات)] لذلك اشتغل هاشم الأسمهر، على (عتبات المحكي القصير في التراث العربي والاسلامي)، إذ أبان أنّ استعمال «مادة (عتب) كان محكوما ومؤطرا بسياق تداولي، أعطى الأولوية لتعيين الموجودات المحسوسة بخاصة، ولعل في توظيف مفهوم العتبات الآن حينَ دراسة الظاهرة الأدبية، إضافة نوعيّة تمليها ضرورة التأصيل، وبلورة وعي نقدي ونظري وفكري لا يقطع الصلة بالمجال التداولي الاسلامي العربي الأصيل»[5].

---

[1] لمياء زغدود: خطاب المقدمات في النقد العربي القديم، بحث في العتبات من خلال كتب الطبقات، المرجع نفسه، ص 31

[2] المرجع نفسه، ص 32

[3] محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيّل وسلطان القدامى، مجلة كتابات معاصرة، عدد 24، 1995، ص57.

[4] سعيد يقطين: مقدمة كتاب "عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008ص15.

[5] هاشم الأسمهر: عتبات المحكي القصير في التراث العربيّ والإسلامي والكرامات والطرف، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص29

ويقدم الأسمهر عدة موضوعات لاختيار مصطلح عتبات من بينها:

- «إنّ المفهوم بكل حمولاته يتسع لكل المكونات القبليّة والبعديّة والبسيطة والمركبة والمستقلة والمستعلية وكل ما يحايّث المتن.
- يجوز أن نوظف مصطلح عتبات، مقابلا استبداليا لمفاهيم من قبيل النصّوص الموازية والنصّوص الملحقة.
- إنّ تداوله في ميدان الدراسة الأدبيّة اليوم لا ينفي إمكان تحقق وعي ما، بعناصره وفق تصورات معينة في التراث العربي الاسلامي»[1]
-

و«قد أسفرت قراءة (...) بعض المقدمات النقدية في الخطاب النقدي العربي القديم، على أنّ أهميّة عتبة المقدمة لا تكمن في مجرّد اعتبارها تتصدّر الكلام، وهي مفتتح القول فحسب، بل لأنّها أيضا **تمتلك سلطة على قارئها من خلال توجيه عمليّة الفهم والتفسير والتأويل**. لذلك فإنّ «الاعتبار **التّصديري والافتتاحي الذي تمتلكه المقدمة، هو اعتبار يمنحها سلطة توجيه القراءة»**[2]

[1] هاشم الأسمهر: عتبات المحكي القصير في التراث العربيّ والإسلامي والكرامات والطرف، المرجع نفسه، ص29

[2] لمياء زغدود: خطاب المقدمات في النقد العربي القديم، المرجع نفسه، ص 33

الخاتمة:

- ✓ المقدمة بداية كل شيء، خلاصة العمل وصورة كاملة للمخطّط، لها بعد فضائي يخص موضعها في مطلع الكتاب.
- ✓ للمقدمة بعد كميّ يخص الطول، فهي في طول فصل تقريبا.
- ✓ من الباحثين من يجعل المقدمة مرادفا للتصدير والتمهيد والتوطئة والمدخل.
- ✓ المقدمة أطول من التصدير وتلحق التمهيد.
- ✓ التمهيد يلي المقدمة، الغاية منه الدخول إلى البحث كالانتقال من الكل إلى الجزء أو ترجمة العالم الذي يراد البحث في آرائه، أو ذكر الخلفيات الزمانية والمكانية للبحث، لا يشتمل على مباحث
- ✓ التوطئة تمهيد للشيء وتهيئة له، وهي تمهيد لفظي في الكلام لذكر الأمر المهم وتهيئة مناسبة الاتيان به.
- ✓ التصدير كلمة يكتبها مؤلفٌ لمؤلّفٍ أخر في أوّل كتابه يعبّر فيها عن ملاحظات شخصيّة موجّهة إلى قارئ الكتاب وتنتهي عادة بفقرة فيها الشكر للأشخاص والهيئات التي ساعدت المؤلف في بحثه، ومثله التقديم فالتصدير والتقديم غالبا يكونان من غير المؤلف سواء كان المؤلف باحثا أو كان الكتاب تحقيقا فيكون التقديم أو التصدير من قبل أحد العلماء أو المحقق.
- ✓ يتعدى التصدير الصفحتين أو ثلاث، قد تصل المقدمة إلى طول فصل او فصلين من فصول الكتاب.
- ✓ المقدمة في النقد العربي القديم ضربا من البيان الصّارم يختزن رؤية المؤلف ومواقفه.
- ✓ تمتلك المقدمة سلطة على قارئها من خلال توجيه عمليّة الفهم والتفسير والتأويل.
- ✓ المقدمات مداخل وعتبات نصيّة برهنت لقارئها على مقدرتها على الكشف عنْ دلالات النص، وعنْ مقاصد المؤلف الدلاليّة، وعنْ منهجه في الدراسة وأدواته الإجرائيّة.
- ✓ تتكون المقدمات مما أسماه علماء التراث الأدبي والنقدي العربي بالرؤوس الثمانية تعددت وتباينت مرادفاتها بحسب وجهات النظر ورؤية المؤلف، لكنها حددت لتأسس لعتبة البداية (المقدمة) أو فواتح الكتاب تأسيسا نظريا وتطبيقيا، تناولها الكتاب تنظيرا، وتناولها النقاد والدراسون شرحا، كشرح التهذيب لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي الشافعي، شرح اشراق الحكمة، أو شرح حكمة الإشراق لقطب الدين محمد بن مسعود بن مصلح الدين الفارسي. وغيرهم
- ✓ الرؤوس الثمانية عند المقريزي، ما يؤتى به قبل افتتاح كل كتاب، وهي الغرض، والعنوان، والمنفعة، والمرتبة، وصحة الكتاب، ومن أيّ صناعة هو، وكم فيه من أجزاء، وأيّ أنحاء التعاليم المستعملة فيه.
- ✓ الرؤوس الثمانية عند التنوخي؛ الغرض من تدوين العلم، المنفعة، السمة او العنوان، المؤلف، من أي علم هو الكتاب، المرتبة، القسمة أو الأجزاء، الانحاء التعليمية.

✓يشرح التنوخي، كل عنصر من العناصر السابقة مستعنا بشرح التهذيب، وشرح حكمة الاشراق، وشرح الحاشية الجلالية

✓المقدمة في النقد العربي القديم ضربا من البيان الصّارم يختزن رؤية المؤلف ومواقفه

وعلى الرغم من اختلاف التسميات، لا تعدو تكون هي هي، سواء كانت الرؤوس الثمانية بالمصطلح العربي، أو العتبات بالمصطلح الغربي.

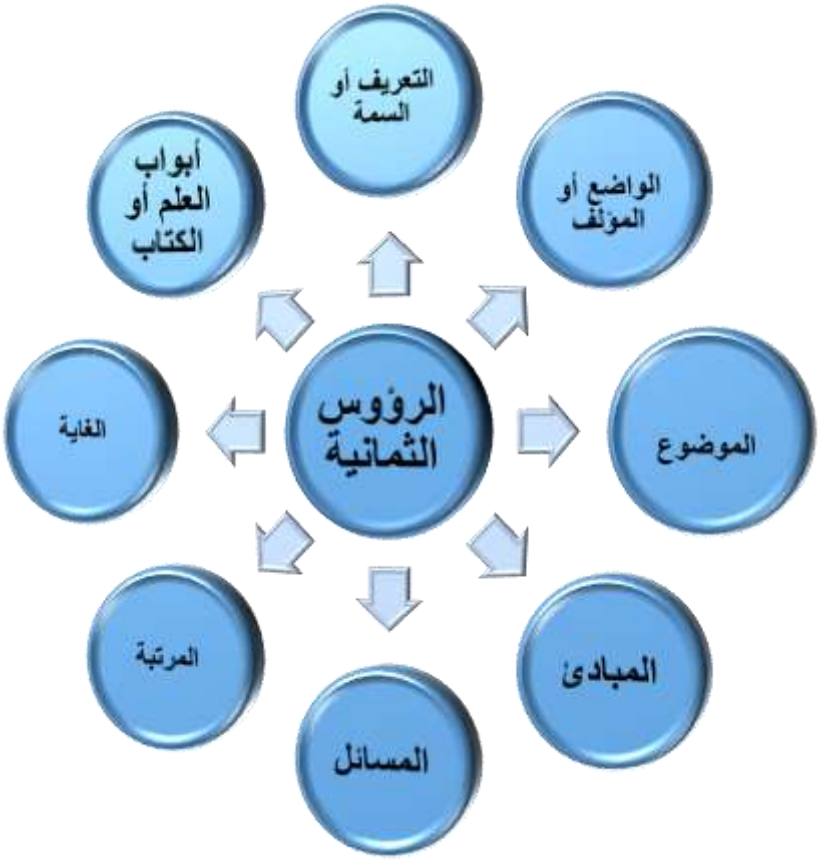

قائمة والمراجع:

-عبد الرزاق بلال: مدخل الى عتبات النصّ، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000.

-هاشم الأسمهر: عتبات المحكي القصير في التراث العربيّ والإسلامي والكرامات والطرف، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص29

- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 1997.

- عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008،

- فلاح العابدي، سعيد البخاتي: مناهج التفكير، سلسلة إصدارات أكاديمية الحكمة العقلية 3، بغداد، العراق، العدد 1000، ط1، 2015.

المعاجم:

-ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل بيروت، لبنان، 1988، المجلّد الثالث.

-إميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصّل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، المجلّد الثاني.

-القِنَّوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ت 1307هـ): أبجد العلوم، دار ابن حزم، الطبعة 1، 1423 هـ-2002 م.

-محمّد التونجي: المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

-مجدي وهبه وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

المجلاّت والدوريات:

-لمياء زغدود: خطاب المقدمات في النقد العربي القديم، بحث في العتبات من خلال كتب الطبقات، مركز نقد وتنوير الدراسات الإنسانية، جامعة منوبة، تونس، 12 مارس 2024

-محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيّل وسلطان القدامى، مجلة كتابات معاصرة، عدد 24، 1995.